Journal of King Abdulaziz University: Arts and Humanities

Volume 33 | Issue 4 Article 13

8-31-2025

The approach of Imam Al-dhahabi (may Allah have mercy on him) in dealing with the most prominent pests of knowledge seeking and its treatments

Khawla bint Muhammad Al-uqla
Department of Da`wah and Islamic Culture, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al Qura University, Makkah, KSA, Tm366@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://kauj.researchcommons.org/jah

Part of the Arts and Humanities Commons

Recommended Citation

Al-uqla, Khawla bint Muhammad (2025) "The approach of Imam Al-dhahabi (may Allah have mercy on him) in dealing with the most prominent pests of knowledge seeking and its treatments," *Journal of King Abdulaziz University: Arts and Humanities*: Vol. 33: Iss. 4, Article 13.
DOI: https://doi.org/10.64064/1658-4295.1049

This Article is brought to you for free and open access by King Abdulaziz University Journals. It has been accepted for inclusion in Journal of King Abdulaziz University: Arts and Humanities by an authorized editor of King Abdulaziz University Journals.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٣)، ع (٤)، ص ص: ٣٧٢ – ٤١٠، (٢٠٢٥م)
DOI: 10.64064/1658-4295.1049

منهج الإمام الذهبي رحمه الله في تناول أبرز آفات طلب العلم ومعالجاته لها

خولة بنت محمد العقلا

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى، مكة المكرمة

Tm366@hotmail.com

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على منهج الإمام الذهبي رحمه الله في تناول أبرز آفات طلب العلم ومعالجاته لها، وهي ست آفاتٍ قادحةٍ تعرض لبعض من يطلب العلم، والمتمثلة في سوء القصد، واتباع الهوى، والإعراض عن الحق، والتقليد، والتعصب، وحسد الأقران. وقد استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج النقدي، ومنهما توصلت إلى نتائج البحث التي من أبرزها: كانت آفات طلب العلم حاضرةً بقوةٍ في كتابات الإمام الذهبي وكان غالبًا ما يربط بين الآفات والعلم سلبًا وإيجابًا؛ وهذا يرجع لاهتمامه الواسع برصد آداب طلب العلم وآفاته في جل مناقشاته للمسائل العلمية وحديثه عن العلم وأهله. ولم يقتصر الإمام الذهبي في منهجه على تناول آفات طلب العلم ونقدها وبيان خطرها على النفس والعلم؛ بل كان أيضًا يُرفقها بطرق علاجها والخلاص منها، وتقديم النماذج الإيجابية فيها من خلال تراجمه لسلف الأمة وأعلامها الكبار. وأوصت الباحثة الباحثين والمهتمين وطلاب الدراسات العليا؛ تتبع ورصد كل آفات طلب العلم التي وقف عليها أعلام هذه الأمة الكبار تشخيصًا وذمًا ومعالجةً لها.

الكلمات المفتاحية: منهج، آفات، العلم، التعلم، طلب العلم، المعالجات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين (ﷺ)، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

مما لا شك فيه أن العلماء الربانيين الذين اختطوا المنهج القويم لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، هم أتباع صدق وعدل، وأسلاف هدي وفضل، وأصحاب معرفة وعلم، وهم ورثة الأنبياء

ومشـــاعل النور والهداية، ولهم أكبر الأثر في نشـــر العلم والمعرفة والعقيدة والإيمان والفقه، والقيام بواجب الدعوة وبذل النصح والتوجيه والإرشاد والتربية والوعظ والإصلاح، كما أن لهم دورهم الفاعل في النقد والتقويم ومعالجة الأخطاء والاختلالات في مختلف الجوانب الحياتية بشكل عام، سواءً في حياة المسلمين، أم في كل ما يتعلق بالعلم وطلابه وأهله.

ومن أولئك العلماء الدعاة المصـــلحين، الإمام شـــمس الدين أحمد بن محمد الذهبي، الذي كان له منهجه المتميز الجدير بالاهتمام؛ حيث تُعدَ شـــخصـــيته ثريةً وفريدةً من نوعها في: العلم، والدعوة، والعطاء، والتأليف؛ مما شجع الباحثين على دراسة شخصيته، وسبر أغوار مؤلفاته، واستلهام منهجه في كثير من الفنون، ولعل الباحثة أرادت أن يكون لها نصـــيبها في البحث العلمي بموضـــوع يتعلق بمنهج الإمام الذهبي؛ ليقينها بأن منهجه من أكثر المناهج قوةً ورصانةً ودقةً وإثراءً وحاجةً له اليوم.

ومع كثرة الدراسات والأبحاث العلمية حول الذهبي؛ إلا أن الباحث في شخصيته ومنهجه ومؤلفاته، لن يعدم الجديد، من رصـــد جوانب جديرةً بالنظر والدراســـة، لذا؛ رأت الباحثة اختيار هذا العَلم من خلال موضوع كان محط اهتمامه في مؤلفاته، وسمته بـ: **(منهج الإمام الذهبي رحمه الله في تناول أبرز آفات طلب العلم ومعالجاته لها)**.

مشكلة البحث وتساؤلاته

إن طبيعة النفيس البشرية قد لا تنجو من الإصابة ببعض العلل والآفات التي لها آثارها السلبية على الإنسان، إلا أن هذه العلل والآفات إذ أصابت طلاب العلم والمنشغلين به؛ فإنها تكون أكثر ضرارًا عليهم وعلى الوسط العلمي؛ مما استدعى فطنة بعض العلماء الكبار عبر مختلف المراحل الزمنية لها، وقيامهم بوضـــع اليد على بعض هذه الآفات تتبعًا وتشـــخيصًـــا وتحليلًا، ثم تقديم المعالجات اللازمة لها، ويأتي الذهبي في مقدمة هؤلاء العلماء. لذا فإنّ إشكالية البحث تتمحور حول أبرز آفات طلب العلم التي نبه عليها الذهبي وفق التساؤل الرئيس الآتي:

ما أبرز علل وآفات طلب العلم التي تناولها الإمام الذهبي وقدّم لها المعالجات اللازمة؟

وتتفرع عنه التساؤل التساؤلات الآتية:

١. ما منهج الذهبي في تناول آفة سوء القصد وحب والظهور ومعالجته لها؟

٢.ما منهج الذهبي في تناول آفة اتباع الهوى ومعالجته لها؟

٣.ما منهج الذهبي في تناول آفة الإعراض عن الحق ومعالجته لها؟

٤.ما منهج الذهبي في تناول آفة التقليد ومعالجته لها؟

٥. ما منهج الذهبي في تناول آفة التعصب ومعالجته لها؟

٦. ما منهج الذهبي في تناول آفة حسد الأقران ومعالجته لها؟

أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره

١. تناوله لمنهج أحد أعلام العلم والدعوة الكبار في تاريخ الأمة من أصحاب منهج أهل السنة والجماعة؛ فأمثال هؤلاء من الأهمية بمكان دراسة مناهجهم وأفكارهم ومضامين مؤلفاتهم.
٢. آفات طلب العلم التي يشتمل عليها هذا البحث؛ تعد من المسائل المهمة والعملية المُعاشة في الواقع المعاصر، والجديرة بالبحث، ولعل الحاجة ماسةً إلى معالجتها اليوم.
٣. كما تنبع أهمية هذه الدراسة من الأنموذج العملي والمتميز الذي قدمه الإمام الذهبي وظهر بجلاء من خلال مؤلفاته ومواقفه وعلاقاته وتطبيقاته العملية.
٤. ما سبق ذكره حمَّس الباحثة لالتقاط هذا الموضوع من مجمل آراء الإمام الذهبي المبثوثة في كتبه والمُستنبطة من تراجمه ومواقفه وكذا معالجاته للأخطاء المتعلقة بطلب العلم.

أهداف البحث

١. بيان منهج الذهبي في تناول آفة سوء القصد وحب الشهرة والظهور ومعالجته لها.
٢. الوقوف على منهج الذهبي في تناول آفة اتباع الهوى ومعالجته لها.
٣. توضيح منهج الذهبي في تناول آفة الإعراض عن الحق ومعالجته لها.
٤. عرض منهج الذهبي في تناول آفة التقليد ومعالجته لها.
٥. استقراء منهج الذهبي في تناول آفة التعصب ومعالجته لها.
٦. بيان منهج الذهبي في تناول آفة حسد الأقران ومعالجته لها.

الدراسات السابقة

من خلال البحث والتحري عن الدراسات والأبحاث العلمية المنشورة عن الإمام الذهبي؛ رأت الباحثة أن غالبيتها متعلقة بمجالات علمية مختلفة لا علاقة لها بموضوع هذا البحث، واختارت الأقرب منها الآتية:

١. **أدبيات المعلم في نفسه وفى مجلسه من خلال الآراء التربوية للإمام الحافظ الذهبي**، أمل عادل طه البهائي، مجلة كلية التربية، بجامعة بورسعيد، المجلد ٢٤، العدد ٢٤، ٢٠١٨م.

تعرضت هذه الدراسة للعديد من القضايا التربوية التي ضمنت في ثنايا مؤلفات الذهبي مثل العلم، والدعوة لتدوينه وكتابته، ونشره وبذله لأهله، وأنواع العلماء والحكماء، والأدبيات التربوية للمعلم

والمتعلم، والزهد في الدنيا، والبعد عن التكسب بالعلم، ومجالسة العلماء، وميول المتعلمين، ومحتويات التعليم ومناهجه إلى غير ذلك من القضايا التي تتصل بالعملية التعليمية.

وتختلف هذه الدراسة عن بحثي لتركيزها على جوانب التعلم والتعليم واقتصارها عليه، دون بقية ما تناوله الذهبي من آراء ومعالجات متعلقة بآفات طلاب العلم.

٢. **الفكر التربوي عند الإمام شمس الدين الذهبي**، بسام عمر ذياب غانم، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان- الأردن، ٢٠٠٣م.

هدفت هذه الدراسة الى إبراز جوانب الفكر التربوي لدى الذهبي، وبيان اسهاماته في مجال التربية، والكشف عن مدى امتداد أفكاره في الفكر التربوي المعاصر، من خلال بيان موقفه من علوم عصره والمشتغلين بها، والطرق والأساليب المتعلقة بتحصيل العلوم، وصورة الآداب والعلاقات التربوية بين أطراف العملية التربوية والتعليمية.

وتختلف هذه الدراسة عن بحثي؛ بتطرقها للفكر التربوي عند الذهبي بعمومه وشموله، بما في ذلك تطرقها لبعض ما يتعلق بالتحصيل العلمي والعلاقات التربوية.

٣. **نصائح الإمام الذهبي لطلبة العلم من كتابه (سير اعلام النبلاء)**، جاد الله بن حسين الخداش، مجلة الحكمة، صادرة عن نخبة من علماء الدول الإسلامية- الهند، العدد ١٢، ١٩٩٧م.

وهذا البحث عبارة عن جمع لبعض أقوال الذهبي لطلبة العلم جُمِعت من كتاب سير أعلام النبلاء دون غيره، مع خلو البحث من أي دراسة منهجية أو تعقيبات للباحث؛ لذا فهو مجرد جمع لمادة علمية محدودة.

ويختلف هذا البحث عن بحثي في كونه لا يدرس أقوال الذهبي ومعالجاته لبعض آفات طلاب العلم كما هو الحال في بحثي، إنما يعرض نصائح عامة فقط مجردةً من أي دراسةٍ علميةٍ لها.

٤. **آفات العلماء في ضوء قوله تعالى "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا" الأعراف ١٧٥- ١٧٧ وسبل الوقاية منها**، عبد الله هاشم الشريف، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق- جامعة الأزهر، المجلد ٣٢، العدد: ٣٢، ٢٠٢٠م.

يسلط هذا البحث الضوء على الآفات التي تتسبب في انحراف العالم عن الحق من خلال بعض آيات من سورة الأعراف، وتمثلت الآفات في الركون إلى الدنيا واتباع الهوى، كما تضمن البحث السبل الواقية منها مثل الإخلاص والعمل والبصيرة بالدنيا وتذكر الآخرة وخشية الله تعالى ومراقبته وتذكر التبعة في اقتداء الناس بهم.

وتختلف هذه الدراسة عن بحثي بتناولها لعموم الموضوع دون تطرقها لأقوال الإمام الذهبي.

منهج البحث

اعتمدت في بحثي هذا على **المنهج الاستقرائي التحليلي:** فهو المنهج الأنسب لطبيعة هذا البحث وموضوعه، وقد استخدمت هذا المنهج في استقراء وتحليل آراء الذهبي المتعلقة بأبرز آفات أهل العلم وطلابه التي بسط القول فيها في بعض مؤلفاته ومعالجاته لها.

وكذلك **المنهج النقدي:** وهو المنهج الذي يعمد إلى التمييز بين الجيد أو الصحيح وغيره، أو بين الايجابي والسلبي في الموضوع، بغية التقويم، والخلوص إلى الآراء الموثوقة، ومن خلاله قمت بنقد الآفات التي يقع فيها بعض أهل العلم وطلابه وفق تناول الذهبي لها.

خطة البحث

المقدمة

تمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: آفة سوء القصد وحب الظهور وعلاجها.

المبحث الثاني: آفة اتباع الهوى وعلاجها.

المبحث الثالث: آفة الإعراض عن الحق وعلاجها.

المبحث الرابع: آفة التقليد وعلاجها.

المبحث الخامس: آفة التعصب وعلاجها.

المبحث السادس: آفة حسد الأقران وعلاجها.

خاتمة، تشتمل على النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر.

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: تعريف المنهج

المنهج لغة: إنَّ الحروف الأصلية لهذه الكلمة هي: (ن هـ ج)، وهذه المادة تدور حول معنى الطريق، "نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق ... والآخر:

الانقطاع"[١]. والمقصود هنا بالمنهج المعنى اللغوي هو الأول، وهو الدالُّ على الطريق. فالمَنْهَجُ والمِنْهَاج: الطريق الواضح البيّن. يقال: أَنْهَجَ الطَّرِيقُ: أصبح واضحًا واستبان[٢]، وهذا متوافق مع تعريف المنهاج في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، والذي يدل على الطريق القويم الواضح[٣].

والمنهج هو: "الخطّة المرسومة، أو الطريقة، أو الفعل، أو تعليم شيء معيّن وفقا لمبادئ معيَّنة بصورة مرتّبة ومنسّقة ومنظّمة"[٤].

وفي الاصطلاح الشرعي "الطريق المستقيم الواضح في الدين"[٥].

وفي البحث العلمي هو: "طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة أو معرفة ما"[٦].

ثانيًا: تعريف الآفات

الآفات: جمع آفة، والآفة هي: العاهة، وفي المحكم: عَرَضٌ مفسد لما أصاب من شيء، ويُقال: آفةُ الظرف الصَّلَفُ، وآفةُ العلم النِّسيانُ، وطعامٌ مَؤُوفٌ: أَصابته آفةٌ. يُقال: آفة الظَّرْف: الصَّلَفُ.. وآفة العِلْم: النِّسيانُ. إذا دخلتِ الآفة على قومٍ قيل: قد إفُوا، ويقال في لغة: قد إيفُوا"[٧].

والمقصود بالآفات هنا: العلل النفسية والأخلاقية التي تصيب بعض أهل العلم في طلبه.

المبحث الأول: آفة سوء القصد وحب الظهور وعلاجها

إن أخطر الآفات التي تصيب طالب العلم ومعلمه آفة سوء القصد، بأن لا تكون النية خالصة لله تعالى، لأنه متى ساء قصد أهل العلم؛ فقدوا ثمرة العلم وفائدته المرجوة في الدنيا والآخرة على حد سواء، فمن طلب العلم بنية فاسدة؛ حُرم فضله ونوره وخيره وبركته، ولم ينل حب الخلق والتأثير عليهم، بل لم ينل رضا الله عنه، قال الذهبي: "وقوم طلبوه بنيةٍ فاسدةٍ لأجل الدنيا، وليُثنى عليهم،

---

[١] مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٦١/٥).

[٢] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، (ج١/ص٣٤٦).

[٣] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص (٦٠).

[٤] المعجم الوسيط، أنيس مصطفى وآخرون، (٩٥٧/١).

[٥] أحكام القرآن، القرطبي، (٢١١/٦).

[٦] منهج البحث الأدبي، لعلي جواد الطاهر، (ص ١٩).

[٧] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٦/٩)، وتهذيب اللغة، (٢٢١/١٥).

فلهم ما نووا. قال (ﷺ): (من غزا ينوي عقالا، فله ما نوى)[٨]. وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى"[٩]. والمقاصد السيئة المتعلقة بطلب العلم متعددة، ذكرها الذهبي في مصنفاته، ومنها:

أولًا: حب الظهور والشهرة

آفة حب الظهور والشهرة مشكلة نفسية عويصة تواجه بعض طلاب العلماء والباحثين والدعاة وغيرهم، حيث قد يصاب البعض برغبةٍ شديدةٍ في الظهور والحصول على الشهرة، وهذا يمكن أن يؤثر سلبًا على مجالهم العلمي وعطاءهم الفكري، ويشتت انتباههم عن الهدف الرئيس الذي ينبغي أن يسعوا إليه، وهو تحقيق ثمرة العلم في أنفسهم أولًا ثم في مجتمعاتهم ثانيا، والحصول على سعادة الدارين، كما قد يؤدي ذلك إلى فقدان القيم المرتبطة بالعلم. لذلك؛ يجب على أهل العلم وطلابه الابتعاد عن حب الظهور والشهرة، والتركيز على العمل الدؤوب والمخلص في مجالهم العلمي، حيث إن الهدف الأسمى يجب أن يكون في خدمة المعرفة، بدلًا من السعي وراء الشهرة التي قد لا تكون مستدامة أو مفيدة في النهاية. وقد قال (ﷺ): «من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو ليجادل به العلماء –وفي رواية: أو ليصرف وجوه الناس إليه– فليتبوأ مقعده من النار»[١٠]. ومن تعلم العلم وعلمه بدون إخلاص يقف بين يدي الله، «فيقول الله: ماذا أردت بهذا، فيقول: يا رب أردت وجهك، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، إنما تعلمت ليقال فلان عالم وقد قيل، اذهبوا به إلى النار»[١١].

وقد ذكر الذهبي أن حب الظهور والشهرة من الآفات التي تصيب العلماء وطلبة العلم، وبيّن أن مرجعها إلى النفس التي تحب الثناء والشهرة، وما لم يربِ صاحب العلم نفسه وينقيها من حب الظهور والعجب، فإن عاقبته أن يُفضح بجهله وقلة علمه[١٢]. وبيّن أن حب الظهور داء خفيّ سار

---

[٨] السنن الكبرى للنسائي، باب من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته إلا عقالا، برقم (٤٣٣١)، (٤/ ٢٨٦)، وصحيح ابن حبان، في ذكر البيان بأن القاصد في غزاته شيئا من حطام هذه الدنيا الفانية له مقصوده دون ثواب الآخرة عليه، برقم (٤٦٣٨)، (١٠/ ٤٩٥).

[٩] السير، (٧/ ١٥٣).

[١٠] سنن ابن ماجه، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، برقم (٢٥٣)، (٩٣/١) وقال محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده ضعيف.

[١١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة، برقم (١٩٠٥)، (٣/ ١٥١٣).

[١٢] يُنظر سير أعلام النبلاء، (٤/ ٤٩٤).

في النفوس، يصيب الفقهاء والعلماء كما يصيب المنفقين والمجاهدين وغيرهم، وقد حذر منه لدقته وسوء عاقبته، فقال: "فربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه، فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلتقون العدو، ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال، والعجب، ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك، ووفق عبادك"[١٣].

ونقل الذهبي في ذلك عدة أقوال، منها: "الشهرة آفة، وكلٌ يتحراها، والخمول راحة، وكلٌ يتوقاها."[١٤] ومنها قول أيوب السختياني (ت: ٦٨هـ): "ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة". وتحذير سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) لابن المبارك (١٨١هـ) من الشهرة، بقوله: (قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلا وقد نهى عن الشهرة)[١٥].

وأشار الذهبي إلى أن من أبرز علامات حب الظهور والشهرة في طلب العلم وتحصيله؛ تتبع غرائب المذاهب والقراءات والآراء والأفكار، والتباهي بمعرفتها دون أن يكون لذلك حاجةً أو فائدة، قال: "وبالجملة إذا رأيت الإمام في المحراب لهِجًا بالقراءات وتتبع غريبها، فاعلم أنه فارغٌ من الخشوع، محبٌ للشهرة والظهور"[١٦]. ولعل هذا ظاهرٌ اليوم من خلال تفرّد بعضهم بأقوال شاذة وآراء مستفزة بغية الظهور والشهرة.

ومن علاماته الخفية؛ الرد على العلماء لإظهار العلم لا للتفقه والاستزادة منه، حيث قال الذهبي: "وما زال العلماء قديما وحديثا يرد بعضهم على بعض في البحث، وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه

---

[١٣] السير، (١٨/ ١٩٢).

[١٤] تاريخ الإسلام، (١١/ ٩٢٠).

[١٥] السير، (٧/ ٢٦٠).

[١٦] تاريخ الإسلام، (٤/ ٤٢).

العالم، وتتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور، والتكثر"[١٧].

وأبان الذهبي أن السلف كانوا يخافون من إظهار المعرفة والفضل، بينما يحرص على ذلك بعض الخلف رغم نقص العلم الذي عندهم، قال: "قد كانوا مع حسن القصد، وصحة النية غالبًا، يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة، واليوم يكثرون الكلام مع نقص العلم، وسوء القصد"[١٨].

ثانيًا: الرغبة في تحصيل المنافع الدنيوية والتصدر والرئاسة العلمية

الأصل في العلم أن يُطلب لذاته، وتحقيقًا لغاياته النبيلة وأهدافه العظيمة وثماره المرجوة، وألا ترتبط المنافع الدنيوية به، إلا ما كان من حق معلو ومقصد مشروع لا يخفى، أما جعل طلب العلم طريقًا لتحصيل المنافع الدنيوية؛ فهذا مما لا يليق بالعلم وطلبه. وقد عاب ذلك الذهبي بقوله: "وإن كانت همتك كهمة اخوانك من الفقهاء البطالين، الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية والثياب الفاخرة، فما ذا بركة العلم، ولا هذه نية خالصة، بل ذا بيع للعلم بحسن عبارة وتعجل للأجر، وتحمّل للوزر وغفلة عن الله"[١٩].

وحب الرئاسة داءٌ خفي وفق توصيف الذهبي بقوله: "فربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه، فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء"[٢٠].

والأمر ينطبق كذلك على الوعظ بالعلم ونفع الناس به، حيث إن الوعظ فن بذاته يحتاج إلى انتفاء رغبة تحصيل المنافع الدنيوية به، إذ يرى الذهبي أن عدته التقوى والزهادة، فإذا رأيت الواعظ راغبًا في الدنيا قليل الدين، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع[٢١]. وذكر الذهبي قول بعض السلف: ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئًا. ثم علّق بقوله: قلت: لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعمل

---

[١٧] السير، (١٢/ ٥٠٠).

[١٨] السير، (١٥/ ٤٦٤، ٤٦٥).

[١٩] زغل العلم، (ص: ٣٦، ٣٧).

[٢٠] السير، (١٨/ ١٩١، ١٩٢).

[٢١] يُنظر: زغل العلم، (ص: ٤٩، ٥٠).

به، وينبه الجاهل، فيأمره وينهاه، ولأنه مظنة ألا يخلص فيه، وأن يفتخر به، ويماري به، لينال رئاسة، ودنيا فانية[٢٢].

علاج آفة سوء القصد

أولًا: الإخلاص

فالإخلاص أساس العمل الصالح، ولا نفع لأي عمل إلا بالإخلاص، ولا شك أن طلب العلم من الأعمال الصالحة، وأنه ما لم يتوفر فيه الإخلاص فلا نفع منه، قال الذهبي: "فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله"[٢٣]. حيث يرى الذهبي أن المخلص قد يحب الشهرة دون أن يشعر بذلك، إلا أنه إذا عوتب اعترف، فيقول: "علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرد ولا يبرئ نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه؛ لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن،"[٢٤] إذ يرى أن العبد إنما يتحصل الإخلاص بعون من الله وتوفيقه، فكان كثيرا ما يختم تعليقاته بسؤال الله تعالى الإخلاص[٢٥].

ومن مظاهر حرص الذهبي على تحقيق الإخلاص ختم كتابه تذهيب تهذيب الكمال بدعاء: "فأسأل الله- تعالى- أن يرزقنا الإخلاص والعفو والمسامحة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا"[٢٦]. مما يدل على حرصه على تحقيق الإخلاص، ومخافته من الزلل والتقصير أو الوقوع في تلبية حظوظ النفس.

وذكر الذهبي من نماذج القدوة الإخلاص في هذا الباب خالد بن معدان الكلاعي الحمصي (ت: ١٠٨هـ): عالم أهل بلده في زمانه سمع خلقا كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال: لقيت سبعين صحابيًا، كان من أكثر أهل عصره لزومًا للعلم، وقال عنه سفيان الثوري: ما أُقدّم على خالد بن معدان أحدًا. كان خالد إذا عظمت حلقته قام خوف الشهرة[٢٧].

---

[٢٢] ينظر: السير، (٤/ ٣٠٣)

[٢٣] المرجع السابق، (٤/ ٦٠١).

[٢٤] السير، (٧/ ٣٩٣).

[٢٥] يُنظر: تاريخ الإسلام، (١٥/ ٩٦٣)، والكبائر، (ص: ١٤٥).

[٢٦] تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (١١/ ٢٢٦).

[٢٧] يُنظر: تذكرة الحفاظ، (١/ ٧٢)

ثانيًا: محاسبة النفس وإصلاحها

ومما يعين على الإخلاص محاسبة النفس وإصلاحها؛ حيث أشار الذهبي إلى ضرورة تربية النفس ومحاسبتها لئلا تسترسل في العجب وحب الكلام بغرض الظهور والشهرة، قال: "ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه، فليصمت، فإن أعجبه الصمت، فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه، فإنها تحب الظهور والثناء"[٢٨]. ومن نماذج محاسبة النفس على نيتها ذكر الذهبي قول شعبة بن الحجاج (ت: ١٦٠هـ): ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث. وقوله: وددت أني وقاد حمام، وأني لم أعرف الحديث. وعلّق الذهبي: قلت: كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم، يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافا[٢٩]. وهذا قليلٌ من فيض أدب السلف وورعهم وحرصهم على الإخلاص في العلم الذي يحملوه ويعملوا به.

وينبغي لمن خالطه سوء القصد في العلم أن يسعى للإخلاص وإصلاح قصده، فقد يقود العلم صاحبه إلى الإخلاص وتصحيح القصد، فيتوب من نيته الفاسدة ويندم، قال الذهبي: "وطلبه قوم منهم أولا لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٦هـ)، وغيره: طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزقنا الله النية بعد. وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضا حسن، ثم نشروه بنية صالحة"[٣٠].

ثالثًا: التذكير بسوء العاقبة على سوء القصد

وبيّن أن من عواقب حب الظهور والشهرة بقوله: "ثم إن الله يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم فيما علموه، فنسأل الله التوفيق والإخلاص"[٣١].

ومن عواقب آفة حب الظهور والشهرة التي ذكرها؛ أنها تجر صاحبها إلى أعمال تشينه، وقد تؤلب عليه المخالفين، فيُعاقب لذلك، كما ذكر الذهبي في ترجمته لمحمد بن عبد الله بن تومرت البربري(ت: ٥٢٤هـ) أنه كان فقيهًا أصوليًّا، زاهدًا لذّته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، لكن حبه للرئاسة والظهور قد جرّه إلى ادعاءات باطلة فطُرد وأوذي، قال الذهبي: "ولكن جرّه إقدامه وجرأته إلى حب الرئاسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه

---

[٢٨] السير، (٤/ ٤٩٤).

[٢٩] السير، (٧/ ٢١٣).

[٣٠] المرجع نفسه، (٧/ ١٥٢).

[٣١] المرجع نفسه، (١٥/ ٤٦٥).

حسنى وهو هرغى بربري وأنه إمام معصوم وهو بالإجماع مخصوم، فبدأ أولا بالإنكار بمكة فآذوه، فقدم مصر وأنكر فطردوه، فأقام بالثغر مدة فنفوه..."[٣٢].

رابعًا: اتخاذ صنعة تغنيه عن اتخاذ العلم وسيلة لتحصيل المكاسب الدنيوية

قال الذهبي في موعظةٍ لطلبة العلم: وإن كانت همتك كهمة إخوانك من الفقهاء البطالين، الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية والثياب الفاخرة، فما ذا بركة العلم، ولا هذه نية خالصة، بل ذا بيع للعلم بحسن عبارة وتعجل للأجر، وتحمّل للوزر وغفلة عن الله، فلو كنت ذا صنعة لكنت بخير، تأكل من كسب يمينك وعرق جبينك، وتزدري نفسك ولا تتكبر بالعلم، أو كنت ذا تجارة لكنت تشبه علماء السلف الذين ما أبصروا المدارس ولا سمعوا بالجهات، وهربوا لما للقضاء طلبوا، وتعبدوا بعلمهم وبذلوه للناس، ورضوا بثوب خام وبكسرة ...[٣٣].

وترى الباحثة أن الصنعة أو المهنة أو العمل المناسب لصاحب العلم، مما يجعله مترفعًا بعلمه، مستغنيًا بدخله الخاص، يقدّم العلم حبًا له وطاعةً لله، لا يبتغي به أجرًا ولا ذكرًا، إلا ما كان مقابل تعليم مستحق ووقت مبذول وعطاءٍ مشروعٍ ومُستحق، كما هو الحال اليوم، إذ قد ترتبط المهنة بالعلم، ويكون له عطاءان؛ عطاءٌ عامٌ لذاته بلا أجر، وعطاءٌ خاصٌ مبذولٌ بأجره، كما هو حال أهل العلم العاملين في المؤسسات والهيئات العلمية الرسمية وكافة مؤسسات التعليم لا سيما الجامعات وأقسام علوم الشريعة الإسلامية فيها.

المبحث الثاني: آفة اتباع الهوى وعلاجها

فقد ورد التحذير من اتباع الهوى في آيات كثيرة من القرآن الكريم، باعتباره آفة خطيرة تودي بصاحبها إلى الهاوية وتلقيه إلى المهالك. ولخطورة اتباع الهوى تنوعت أساليب القرآن الكريم في التحذير منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]، والعلم كذلك لا يمكن أن يؤدي إلى الهداية إذا سيطر عليه الهوى، فالهوى عدوٌّ مبين للحق والعدل والإنصاف.

إن اتباع الهوى يقود إلى الضلال: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، حيث نهى الله تعالى رسوله من اتباع أهواء الذين لا يعلمون، لأن اتباع الهوى يتنافى مع اتباع الهدى، فإذا اتبع الإنسان هواه حُرم من الهدى المنزل من عند الله تعالى.

---

[٣٢] العبر في خبر من عبر، (٤/ ٥٨).

[٣٣] زغل العلم، (ص: ٣٧)

كما بيّنت الآيات أن في اتباع الهوى فساد للحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ويُلاحظ أن كلمة "هوى" جاءت بلفظ الجمع "تنبيهًا على أن لكل واحد هوى غير هوى غيره"[٣٤].

وما يأتي عن طريق الهوى لا يكون علمًا صحيحًا مقبولًا، لذلك يجب أن يُرفض، وبهذا يكون التجرد من الهوى قيمة عقلية تخدم العلم وتوضح الطريق لكل باحث، ولكل عالم، مع العلم أن القصد من التجرد هنا البحث عن الحقيقة، والتجرد أن يتخلى الإنسان عن العصبية في البحث وأن يدور مع الحق حيث دار، وأن يتخلى عن هوى النفس، وعن التعصب للباطل. ولا يكتمل إيمان المؤمن بالله تعالى حتى يكون هواه تبعا للحق الذي جاء به رسوله (ﷺ) ولا يقدم عليه هواه ولا ذوقه ولا رأيه، قال رسول الله (ﷺ) «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[٣٥]. وقد لا يكون اتباع الهوى ظاهرًا لغير صاحبه لكونه من بواطن الإنسان التي يستطيع إخفاؤها.

وقد تحدّث الذهبي عن آفة اتباع الهوى كثيرًا في معرض النقد والذم وتفسير المواقف الشائنة، وعدّ اتباع الهوى مما يقود إلى الزندقة، وفي هذا ينقل عن سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ): إنما سمي الزنديق زنديقًا، لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الأثر، والاقتداء بالسنة، وتأول القرآن بالهوى، فسبحان من لا تكيفه الأوهام[٣٦].

ولا شك أن اتباع الهوى يقود صاحبه إلى إيثار الظن والخيال على الحجة والبرهان ما دامت توافق هواه، وفي هذا انتقد الذهبي من يبنون دعاواهم العقدية والفكرية على الظن والخيال، كما في حديثه عن غلاة الصوفية، واستحسانه لبعض أقوال ابن الأعرابي (ت: ٣٤٠هـ) عن غلاة المتصوفة الذين يتبعون ظنونهم وخيالهم، حيث نقل عن ابن الأعرابي في ترجمة أبي الحسين النوري قوله: مات وهم يتكلمون عنده في شيء، سكوتهم عنه أولى لأنه شيء يتكهنون فيه، ويتعسفون بظنونهم، فإذا كان أولئك كذلك، فكيف بمن حدث بعدهم؟ قال: وكذلك علم المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجوده، ولا لذوقه. قال الذهبي: ولقد أحسن في المقال: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف. قال الذهبي: قلت: إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم

---

[٣٤] مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٨٤٩).

[٣٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (١٣/ ٢٨٩) وقال رجاله ثقات.

[٣٦] السير، (١٣/ ٣٣٢).

على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين[٣٧].

وفي بيان خطورة اتباع الهوى وأنه يقود صاحبه إلى مجانبة العدل والإنصاف، يذكر الذهبي ما وقع بين الإمامين ابن جرير الطبري (ت: ٣٠١هـ)، وأبي بكر بن أبي داود (ت: ٣١٦هـ) من الخصومة فيقول: وقد وقع بين ابن جرير وبين أبي بكر بن أبي داود، وكان كل منهما لا ينصف الآخر، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير، وناله أذى، ولزم بيته، نعوذ بالله من الهوى. وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشنع عليه بيسير تشيع، وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه[٣٨]. قال الذهبي: أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ (ت: ٤٠٤هـ)، فقال: كان يضع للروافض، كذا قال السليماني: وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندّعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإنّ كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يُتأنى فيه، ولا سيما في مثل إمام كبير[٣٩]. وفي ترجمته لموفق الدين أبو محمد الموصلي (ت: ٦٢٩هـ)، ذكر قول الوزير جمال الدين علي القفطي(ت: ٦٤٦هـ) ووقوعه فيه، ثم ردّ عليه بقوله: قلت: وبالغ القفطي في الحط عليه، ويظهر على كلامه فيه الهوى، حتى قال: ومن أسوأ أوصافه قلة الغيرة[٤٠].

كما أن تقديم الهوى على الشرع يقود إلى التدين بقول أهل البدع، والانتصار لهم، والذب عنهم، كما أنه يقود إلى ذم الأئمة الأخيار، والحط من قدرهم، قال الذهبي: "فما من إمام كامل في الخير، إلا وثمَّ أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمونه، ويحطون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلا وله أناس ينتصرون له، ويذبون عنه، ويدينون بقوله بهوى وجهل[٤١].

---

[٣٧] السير، (١٥/ ٤٠٩، ٤١٠).

[٣٨] المرجع السابق، (١٤/ ٢٧٧).

[٣٩] ميزان الاعتدال، (٣/ ٤٩٨).

[٤٠] تاريخ الإسلام، (١٣/ ٨٨٩، ٨٩٠).

[٤١] السير، (١٤/ ٣٤٤، ٣٤٥).

ومن الآفات التي يقود إليها اتباع الهوى آفة الغلو والتعصب؛ وذلك لأن أهل الهوى كما قال الذهبي: "لا يرضون إلا بمن يوافقهم على أغراضهم"[٤٢]، وكم من أذكياء وعباد وعلماء وقعوا في التعصب والغلو بسبب اتباعهم الهوى، قال الذهبي: قلت: غلاة المعتزلة، وغلاة الشيعة، وغلاة الحنابلة[٤٣].

ومن مظاهر اتباع الهوى ما ذكر الذهبي أن "حال خلائق من المقلدين لأئمتهم يحضون على اتباعهم بكل ممكن، ويخالفونهم في مسائل كثيرة في الأصول وفي الفروع، ولا يشعرون، بل يكابرون ولا ينصفون، نعوذ بالله من الهوى وأن نقول على الله ما لا نعلم. فما أحسن الكف والسكوت، وما أنفع الورع والخشية. وكذلك الشيعة تبالغ في حب الإمام علي ويخالفونه كثيرا ويتأولون كلامه، أو يكذبون بما صح عنه. فلعل الله تعالى أن يعفو عن كثير من الطوائف بحسن قصدهم وتعظيمهم للقرآن والسنة"[٤٤].

العلاج يكون في التجرد من الهوى واتباع السنة

من شروط البحث العلمي الموضوعية والتجرد من الميول والأهواء، لأن العواطف والميول الذاتية تنأى بالإنسان عن المنهج العلمي الدقيق، وليس هناك أخطر على البحث العلمي وتنمية العقل من الانقياد للأهواء والاستجابة للعواطف الهوجاء، وفي المنهج الإسلامي نفور واضح من الأحكام الذاتية التي يوصف أصحابها بالظلم والإسراف والضلال والضياع، وفيها الحث على النتائج الموضوعية التي يصل من خلالها الإنسان إلى الحقيقة.

ومن حرص الذهبي على تنقية العلم وطريقه من الهوى؛ ذكر أن من شروط العلم الفرار من الهوى، فقال: ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته[٤٥].

وفي أمر الهوى نفسه يقرر الذهبي أنه لا بد لمن يتصدى للجرح والتعديل، أن يكون متجردًا عن الهوى والعصبية والظن، وقال في حق من يريد أن يصير عارفًا بالجرح والتعديل: "فإن آنست يا هذا من نفسك فهما وصدقًا ودينًا وورعًا، وإلا فلا تتعن وإن غلب عليك الهوى والعصبية للرأي والمذهب

---

[٤٢] معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ٢٨٤).

[٤٣] لقد عجبت الباحثة كيف وضع الإمام الذهبي غفر الله غلاة الحنابلة وهم أصحاب مذهب فقهي مع غلاة مذاهب عقدية منحرفة، ولم يضع بينهم غلاة بقية المذاهب الفقهية من جهة، أو يستبعد غلاة الحنابلة، أو يميز بين غلاة الفقه وغلاة العقيدة!

[٤٤] تاريخ الإسلام، الذهبي، (١٥/ ٦٣١).

[٤٥] المرجع السابق، (١٣/ ٣٢٣).

فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"[٤٦]. وقال: "والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام، وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث، وعلله، ورجاله"[٤٧]. وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل، المتصفين بالورع والعلم.

كما أورد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠]. ثم قال: فاتباع ما جاء به الرسول (ﷺ) أصل ونور، مخالفته ضلال ووبال، وابتداع ما لم يأذن به ولا سنه، مردود[٤٨].

وفي الدعوة إلى التجرد من الهوى والتحذير من اتباعه ذكر الذهبي في ترجمته للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (ت: ١٠٦هـ) أنه ما حُفظ له من الشعر سوى هذا:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال[٤٩].

واجتناب الوقوع في الهوى يستلزم التثبت والتحقق، إذ "ينبغي أن تتفقد حال الجارح مع من تكلم فيه باعتبار الأهواء: فإن لاح لك انحراف الجارح، ووجدت توثيق المجروح من جهة أخرى، فلا تحفل بالمنحرف وبغمزه المبهم. وإن لم تجد توثيق المغموز، فتأن وترفق"[٥٠].

المبحث الثالث: آفة الإعراض عن الحق وعلاجها

تُعدّ آفة الإعراض عن الحق من أسوأ السلوكيات التي يمكن أن يتبعها الإنسان إجمالً فضلًا عن أهل العلم وطلبته، وتعني عدم الاعتراف بالحقيقة، سواء لأسباب شخصية أم اجتماعية، حيث يمكن أن يؤدي الإعراض عن الحق إلى تفاقم المشكلات والنزاعات والاختلافات والمفاسد المتعددة، ويمنع الشخص من تحقيق النمو الشخصي والعقلي والعلمي والمعرفي، ولا يمكن للإنسان أن يكون صادقًا مع نفسه ومع الآخرين ويسعى للبحث عن الحقيقة والعدالة في جميع الأمور في ظل إعراضه عن الحق وامتناعه عن قبوله إذا ظهر له، لا سيما إذا اتصل ذلك بعلوم الشريعة الإسلامية.

---

[٤٦] تذكرة الحفاظ، (١/ ١٠).

[٤٧] الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: ٨٢).

[٤٨] التمسك بالسنن والتحذير من البدع، (ص: ٩٣)

[٤٩] السير، (٥/ ٣٥١).

[٥٠] الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: ٨٨)

وفي تقدير الباحثة؛ يكفي هذه الآفة سوءًا أنها تتعارض مع الموضوعية والبحث عن الحقيقية، وهي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها أهل العلم، حيث إن البحث عن الحق من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها أهل العلم، ولكن قد تعترض بعضهم مؤثرات متعددة قد تجعل الحق غير واضحًا بالنسبة لهم، سواءً كانت تلك المؤثرات شخصية، أو نفسية، أو بيئية، أو علمية، أو منهجية، أو مذهبية، أو سياسية، أو غير ذلك.

ولعل أهم تلك المؤثرات في إطار الوسط العلمي؛ البيئة، وهذا ما أشار إليه الذهبي، حيث أوضح أثر البيئة الكبير على معرفة الحق ووضوحه، وبالتالي اتباعه، لأن الإنسان ابن بيئته، فهو يتأثر بما نشأ عليه في تلك البيئة، ويتبع ما تربى عليه من معتقدات وأفكار، ويعتقد أنها الحق المطلق، بينما قد تكون بعيدة عن الحق، ويزيد التأثير السلبي للبيئة إذا كان طالب العلم مرتبطًا بهذه البيئة وحدها ولم يتعرف على بيئات أخرى، ولم يرحل إلى بلدان غير بلاده لطلب العلم والتعرف على أهل العلم فيها والاستفادة منهم، بل إن هذه البيئة المتعصبة تصنع الخوف لدى من يدرك الحق من مخالفة السائد فيها، فيكتم الحق الذي يعلمه إيثارًا للسلامة؛ فيغيب العدل والإنصاف، وهذا حاصلٌ بكثرةٍ في البيئات المتعصبة التي يضعف فيها الحق أمام سطوة التعصب، حيث يقرر الشوكاني أنه: "إِذا وجد فيهم من يعرف الْحق فَهُوَ لَا يَسْتَطِيع أَن ينْطق بذلك مَعَ أخص خواصه وَأقرب قرَابَته فضلا عَن غَيره، لما يخافه على نَفسه أَو على مَاله أَو على جاهه بِحَسب اخْتِلَاف الْمَقَاصِد وتباين العزائم الدِّينِيَّة، فَيحصل من قصورهم مَعَ تغير فطرهم بِمن أرشدهم إِلَى الْبَقَاء على مَا هم عَلَيْهِ وَأَنه الْحق وخلافه الْبَاطِل"[٥١].

ومن المؤثرات التي قد تجعل المرء يعرض عن الحق أو يغطيه؛ الرغبة في إرضاء الناس، فيتكلم بما يوافق هواهم لينال رضاهم وإن خالف الحق والصواب، وفي هذا ذكر الذهبي قول الإمام الزاهد أحمد بن حرب (ت: ٢٣٤): عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضى الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة[٥٢].

ومن ذلك كثرة الجدل والمراء، حيث يسعى كل طرف إلى إثبات صواب حجته وبطلان حجة خصمه، وربما كابر في ذلك وإن ظهر له أن الصواب مع خصمه، إذ الغالب عند من ينتهجون الجدل والمراء؛ الانتصار للرأي والحجة وردّ ما عند الآخرين، حتى لو كان الحق عندهم جليّا.

---

[٥١] أدب الطلب، ص (٧٣).

[٥٢] السير، (١١/ ٣٤)

وقد أشار النبي (ﷺ) لهذا المرض، وحذّر منه وبيّن خطورته؛ حيث قال: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار» [٥٣]. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي (ﷺ) قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[٥٤]، وفي سنن بن ماجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا تلك الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][٥٥]. والجدال والمراء يحرم صاحبه من الوصول إلى الحقّ ومعرفة الرّشد، وطول ممارسته يغري بالتّمادي في الباطل، ويورث البغضاء والكراهية[٥٦]، ويعزّز ذلك الشوكاني بقوله: "فَإِن الرجل قد يكون لَهُ بَصِيرَة وَحسن إِدْرَاك وَمَعْرِفَة بِالْحَقِّ ورغوب إِلَيْهِ فيخطئ فِي المناظرة ويحمله الْهوى ومحبة الغلب وَطلب الظُّهُور على التصميم على مقاله وَتَصْحِيح خطأه وتقويم معوجه بالجدال والمراء، وَهَذِه الذريعة الإبليسية والدسيسة الشيطانية قد وَقع بهَا من وَقع فِي مهاوي من التعصبات ومزالق من التعسفات عَظِيمَة الْخطر مخوفة الْعَاقِبَة[٥٧].

وقد تحدّث الذهبي عن الجدال والمناظرة، وجعلها نوعين أحدهما حسن والآخر مذموم، فقال: "وربما كان فصل الخطاب، أن بعض الفعل حسن، وبعضه سيئ، مثاله: النظر والمناظرة، فالجدال بالحسنى حسن، ومنه مذموم، قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]، وقال تعالى يجمع الأمرين: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦]، فمن جادل في الحق بعد ما تبين فهو مذموم، سواء قصد نصر إمامه، أم هواه، وجادل بلا علم[٥٨]". كما أورد أقوال بعض السلف في ذم الجدل والمراء، من ذلك ما نقله عن الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ): إذا أراد الله بقوم شرا، فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل[٥٩]. وعن الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ): ليس هذا الجدل من الدين بشيء[٦٠].

---

[٥٣] سنن الترمذي (٢٦٥٤)، (٥/ ٣٢).

[٥٤] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: وهو ألد الخصام، رقم (٢٤٥٧)، (٣/ ١٣١).

[٥٥] أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٢٢١٦٤) مطولًا.

[٥٦] الخلاصة في آفات اللسان، علي بن نايف الشحود، (ص: ٩).

[٥٧] أدب الطلب، (ص: ٨٩).

[٥٨] التمسك بالسنن والتحذير من البدع (ص: ١١٦).

[٥٩] السير، (٧/ ١٢١).

[٦٠] المرجع السابق، (٨/ ٦٧)

بل لقد جعل الذهبي في كتابه الكبائر الكبيرة الستون الجدل والمراء واللدد؛ مما يؤكد على شدة تركيزه على هذه الآفة التي في غالبها تكون مع طلب العلم وبين أهله وطلابه، الذين الأصـــل فيهم لعدم الوقوع فيها، لجلاء الأدلة الشـــرعية والشـــواهد النبوية في التحذير منها، ولســـوء أثرها على العلم والمتعلمين. وقال: "فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالا بغير علم كان مذموما وعلى هذا التفصـــيل تنزل النصـــوص الواردة في إباحته وذمه والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضـــهم ما رأيت شـــيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشـــغل للقلب من الخصـــومة"[٦١]. وأورد قوله (ﷺ): «ما ضـــل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال ثم تلا ما ضـــربوه لك إلا جدلا الآية...»[٦٢]، وقال (ﷺ): «أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم»[٦٣]، وقال النبي (ﷺ): «المراء في القرآن كفر»[٦٤]،[٦٥].

علاج آفة الإعراض عن الحق

إن التواصي بالحق والصدع به من صفات المؤمنين، وفي هذا نقل الذهبي قول هشام بن عمار في خطبة له: قولوا الحق، ينزلكم الحق منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق[٦٦].

بيان فضيلة الرجوع إلى الحق، وأنه ينبغي للإنسان إن مال عن الحق أن يرجع إليه إذا تبيّن له، وألا يكابر ويعاند، مهما بلغ شـــأنه ومكانته، وأن يعلم أن الرجوع إلى الحق يرفع من مكانته ولا ينقص منها، وفي هذا ذكر الذهبي أن الخليفة المأمون (ت: ٢١٨هـ) لتشـــيعه أمر بالنداء بإباحة المتعة – متعة النســـاء – فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث علي رضـــي الله عنه بتحريمها، فلما علم بصحة الحديث، رجع إلى الحق، وأمر بالنداء بتحريمها[٦٧].

وذكر الذهبي كثيرا من الأئمة والأعلام ممن وصفوا بقول الحق، منهم على سبيل المثال لا الحصر: عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه، فذكر الذهبي أن الصـــحابة كانوا يقولون: أرحمنا بنا أبو بكر، وأنطقنا بالحق عمر، وأميننا أبو عبيدة، وأعلمنا بالحرام والحلال معاذ، وأقرؤنا أبيّ، ورجل عنده علم

---

[٦١] المرجع السابق (ص: ٢٢٢).

[٦٢] سبق تخريجه.

[٦٣] علل الدارقطني (٩٩٢)، والموقوفُ هو الصَّحيحُ، وضعفه لألباني، السلسلة الضعيفة (٦٥٤٨).

[٦٤] أخرجه أحمد (٧٨٣٥)، وابن حبان، صحيح ابن حبان (١٤٦٤).

[٦٥] الكبائر للذهبي (ص: ٢٢٣).

[٦٦] السير، (١١/ ٤٢٩)

[٦٧] يُنظر: السير، (١٠/ ٢٨٣)

ابن مسعود، وتبعهم عويمر أبو الدرداء بالعقل[٦٨]. وعن الصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال الذهبي: وكان رأسا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه[٦٩]. والشيخ العز شرف المقدسي (ت: ٦٦٦هـ): قال الذهبي: كان متينًا صاحب أحوال وكرامات وأمر بالمعروف وقول بالحق[٧٠]. والعلامة ابن الواسطي (ت: ٦٩٢هـ): قال الذهبي: وكان فقيهًا زاهدًا عابدًا مخلصًا قانتًا صاحب جد وصدق وقول بالحق وله هيبة في النفوس[٧١]. وغيرهم الكثير من الأئمة والأعلام الذين أثنى عليهم الذهبي رحمهم الله بقولهم الحق، وكثيرا ما كان يستعمل صيغة المبالغة "قوّالًا بالحق" للدلالة على أنه هذا كان منهجهم وديدنهم[٧٢].

المبحث الرابع: آفة التقليد وعلاجها

الحديث هنا عن التقليد المذموم، والذي يتبع فيه المقلد إمامه ومذهبه في كل كبيرة وصغيرة، دون الرجوع إلى مستنده من الأدلة، ودون النظر في الآراء المخالفة، ولكنه يتقوقع داخل مذهب واحد، ولا يعترف بما سواه، وهو ما عابه الذهبي وعدّه من آفات طلب العلم، كما عابه كبار علماء الأمة، حيث فصّل فيه ابن القيم بذكر أحوال المقلدة ومناقشة حججهم، مع تحذيره من الحال التي عليها طوائف من أتباع المذاهب؛ من التزام مذهب يقلد فيه إمامه ولا يخرج عنه ولا يلتفت إلى غيره، ولا يسأل عن حجته، ولا يطلب على قوله دليلًا، وربما عرض الكتاب والسنة على قول إمامه، وربما كان فقيهًا متعلمًا، وحاصل كلامه أن ذلك من التقليد المذموم المحرم وأنه كتقليد الآباء الذي نهى عنه القرآن الكريم[٧٣].

وأشار الشاطبي إلى أن "اعتياد الطالب ألا يطلع إلا على مذهب الواحد ربما يكسبه ذلك نفورًا وإنكارًا لكل مذهب غير مذهبه، من غير اطلاع على مآخذه فيورث ذلك حزازة في الاعتقاد في الأئمة الذين أجمع ناس على فضلهم وتقدمهم في الدين، واطلاعهم بمقاصد الشارع وفهم أغراضه"[٧٤].

---

[٦٨] السير، (٢/ ٣٤١).

[٦٩] ينظر: السير، (٢/ ٤٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٨).

[٧٠] العبر في خبر من عبر، (٥/ ٢٨٤)

[٧١] السابق، (٥/ ٣٧٥).

[٧٢] يُنظر مثلا: السير، (٢٠/ ٤٤٩)، العبر في خبر من غبر، (١/ ٢٣١، و٣/ ٣٥١، ٣٥٣).

[٧٣] ينظر: إعلام الموقعين، (٢/ ١٢٩ وما بعدها).

[٧٤] الموافقات، (٣/ ١٣١-١٣٢).

وقد فصّل الذهبي فيمن يسوغ له التقليد ومن لا يسوغ له أو لا يلزمه، فمن كان له فقه وسعة علم فإنه لا يلزمه اتباع مذهب واحد، بل يعمل بما تبرهن لديه من أقوال الأئمة، حيث قال: "ولا ريب أن كل من آنس من نفسه فقها، وسعة علم، وحسن قصد، فلا يسعه الالتزام بمذهب واحد في كل أقواله، لأنه قد تبرهن له مذهب الغير في مسائل، ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها إمامه، بل يعمل بما تبرهن، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهي والغرض"[٧٥]. وقال: "من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يسغ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه لا يسوغ له الاجتهاد أبدا"،[٧٦] أما من كان قاصرًا في التمكن من العلم ساغ له التقليد، قال: "قلت: ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو قاصر في التمكن من العلم، كأكثر علماء زماننا، أو من هو متعصب"[٧٧].

وقد جعل الذهبي لهذا التقليد ضوابط لئلا يصل بصاحبه إلى التعصب، فقال: "فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى، فإنك لا دليل لك على ذلك، ولا لمخالفك أيضا، بل الأئمة رضي الله عنهم على خير كثير، ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة، وفي خطئهم أجر على كل مسألة"[٧٨].

وعلى المقلّد التأني في الحكم بالتقليد، فلا يتبع إمامه في كل كبيرة وصغيرة، مهما بلغ شأن ذلك الإمام، لأن الأئمة بشر يصيبون ويخطئون، ولأن المُقلد سيسأله الله عن أحكامه وفتاويه وحينها لا يسعه الاعتذار بالتقليد، قال: "فإن الحاكم والمفتي يتعين عليه أن يراقب الله تعالى، ويتأنى في الحكم بالتقليد ولا سيما في إراقة الدماء، فالله ما أوجب عليهم تقليد إمامهم، فلهم أن يأخذوا منه ويتركوا، كما قال الإمام مالك: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر (ﷺ) فيا هذا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك لمَ أبحتَ دم فلان فما حجتك؟ إن قلت قلدت إمامي، يقول لك فأنا أوجبت عليك تقليد إمامك؟[٧٩]. ثم إن تفوّق إمام من الأئمة لا يُحتّم تقليده، قال: "قلت: بتقدير صحة:

---

[٧٥] السير، (٨/ ٩٣، ٩٤).

[٧٦] المرجع السابق، (١٨/ ١٩١، ١٩٢).

[٧٧] المرجع نفسه، (١٤/ ٤٩١).

[٧٨] زغل العلم، (ص: ٣٥).

[٧٩] المرجع السابق، (ص: ٣٣، ٣٤).

(أفرضـــهم زيد، وأقرأهم أبيّ)[٨٠] لا يدل على تحتم تقليده في الفرائض، كما لا يتعين تقليد أبيّ في قراءته، وما انفرد به"[٨١].

علاج آفة التقليد

علاج هذه الآفة يكون في سعة الاطلاع على الآراء والمذاهب المختلفة، ودراسة أدلتها جميعًا، وعدم الدوران حول مذهب واحد وآراء إمام واحد، بل على طالب العلم أن يعي أن الاختلاف ســنة جارية، وما زال الأئمة المجتهدون يختلفون في فهم النصــوص من عهد الصــحابة حتى يومنا هذا. وعليه؛ "فإذا تيقن المقلدون هذه الأمور، والتزموا بهذه الآداب، صارت تقليدًا سلسًا طبيعيًا كما كان عليه في القرون المفضلة، أما إذا غلب عليهم التعصب والمشاحنة والتحاسد والبغضاء فإن التقليد يفقد وظيفته السامية، حيث جعله الإسلام طريقا للعامة لمعرفة الأحكام لا وسيلة لتجزئة الإسلام"[٨٢]. "فإن رأى متبع المذهب رأيًا في مذهبه مخالفا لدليل شـرعي، أو قاعدة شـرعية، أو قياس صـحيح، أو إجماع الأمة؛ وجب عليه تركه لما ترجح عنده"[٨٣].

وفي ضرورة الاطلاع على المذاهب المختلفة يقول الذهبي: "ولكن شأن الطالب أن يدرس أولا مصنفا في الفقه، فإذا حفظه، بحثه، وطالع الشروح، فإن كان ذكيًا، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة، فليراقب الله، وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله[٨٤]. وأورد الذهبي قول عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ): (ما رأيت في كتب الإســلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشــيخ موفق الدين. ثم علّق الذهبي بقوله: قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين. وثالثهما: (السنن الكبير) للبيهقي. ورابعها: (التمهيد) لابن عبد البر. فمن حصــل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقا[٨٥].

---

[٨٠] ســنن ابن ماجه، باب فضــائل زيد بن ثابت، (١/ ٥٥)، وســنن الترمذي، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح، برقم (٣٧٩٠)، (٥/ ٦٦٤).

[٨١] السير، (٢/ ٤٣٢).

[٨٢] التمذهب دراسة تأصيلية واقعية، عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، (ص: ١٤٧).

[٨٣] المرجع السابق، (ص ١٧٦).

[٨٤] السير، (٨/ ٩٠).

[٨٥] السير، (١٨/ ١٩٣).

كما أن علاج آفة التقليد يكون باتباع الدليل، فمن كان مقلّدا لإمام من الأئمة المعتبرين فإن عليه اتباع الدليل لا ذات الإمام، وقد انتقد الذهبي قول بعضهم: إن الإمام لمن التزم بتقليده، كالنبي مع أمته، لا تحل مخالفته. ورد عليه بحجة بالغة، فقال: قلت: قوله: لا تحل مخالفته: مجرد دعوى واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر، حجته في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه، عمل به من أي مذهب كان[٨٦]. إلى أن قال ردّا على من جعل الإمام مالك هو الأولى بالتقليد: "قلت: ولكن هذا الإمام الذي هو النجم الهادي قد أنصف، وقال قولًا فصلًا، حيث يقول: "كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر (ﷺ)"[٨٧]. والشيء المعلوم الثابت "أن الأئمة المجتهدون والمذاهب الأربعة ما هي إلا وسائل للوصول إلى الحق وقد لا تصل إليه، فإن أخذ التمذهب كوسيلة للوصول إلى الحق كان بها وكان جائزًا، ومن جعله هو الحق فقد غلا، فإن الحق نطق به النص وهو ثابت والاجتهادات هي آراء العلماء وفهومهم وذلك متغير"[٨٨].

ومن المواقف التي ذكرها الذهبي في وقوف أئمة المذاهب مع النص وإن خالف مذهبهم: قال عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨هـ): حدثنا عبد الواحد بن زياد (ت: ١٧٧هـ)، قال: لقيت زفر (ت: ١٥٨هـ) فقلت له: صرتم حديثا في الناس وضحكة. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: (ادرؤوا الحدود بالشبهات)[٨٩]، ثم جئتم إلى أعظم الحدود، فقلتم: تقام بالشبهات. قال: وما هو؟ قلت: قال رسول الله (ﷺ): «لا يقتل مسلم بكافر»[٩٠]. فقلتم: يقتل به -يعني: بالذمي-. قال: فإني أشهدك الساعة أني قد رجعت عنه. ثم علّق الذهبي بقوله: قلت: هكذا يكون العالم وقافا مع النص[٩١]. وهكذا يتضح جليًا كيف قدّم الذهبي رؤيته لمعالجة آفة التقليد وما يؤول إليه، من خلال تتبعه للنصوص المانعة له، وسرده لمنهج السلف في رفض التقليد، والاستئناس بأقوال بعضهم ومناقشاتهم للمقلدة، مع قبوله بالتقليد العادي اللازم لأصحابه في ظل الالتزام بضوابطه وآدابه دون غلو أو تعصب أو شطط.

---

[٨٦] يُنظر: السير، (٨/ ٩٠).

[٨٧] يُنظر: المرجع السابق، (٨/ ٩٣، ٩٤).

[٨٨] التمذهب: حقيقته وحكمه، وليد الحمدان، (ص: ٣٢٧).

[٨٩] سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود، برقم (١٤٢٤)،

[٩٠] صحيح البخاري، كتاب الديات، باب العاقلة، برقم (٦٩٠٣) (١١/٩).

[٩١] السير، (٨/ ٤٠، ٤١)

المبحث الخامس: آفة التعصب وعلاجها

والتعصب بعمومه مذمومٌ لا سيما التعصب المرتبط بالعلم والتمذهب الفقهي؛ ويمتد المعنى ليشمل التعصب للآراء، ذلك أن من التعصب في هذا الشأن "أن يعرض أقوال المذاهب الأخرى على مذهبه ويجعله معيارًا لقبول القول أورده وتبرير أخطاء العلماء المتبوعين مع ظهور الدليل واستبانة السنة والزعم بأن ذلك مما كان لا يخفى عليهم فهذا من تقديس الأشخاص وادعاء العصمة لهم ولا يخفى ما فيه"[٩٢].

وأخطر ما في التعصب أنه يقود إلى احتكار الحقيقة، فيرى كل أتباع فرقة أو أصحاب مذهب أن الحق معهم وحدهم، وكل من لا يتبعهم فهو على باطل وضلال، وهو ما ذكره الذهبي في ترجمته للإمام ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) ما قاله عنه أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ): كان إماما علما في العلم والعمل، صنف كتبًا كثيرة، لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه، فسبحان من لم يوضح له الأمر فيها على جلالته في العلم، ومعرفته بمعاني الأخبار. وعلّق الذهبي بقوله: قلت: وهو وأمثاله متعجب منكم مع علمكم وذكائكم، كيف قلتم! وكذا كل فرقة تتعجب من الأخرى، ولا عجب في ذلك، ونرجو لكل من بذل جهده في تطلب الحق أن يغفر له من هذه الأمة المرحومة.[٩٣].

وعن منشأ العصبية قال الذهبي: "قال شيخنا ابن وهب: العقائد أوجبت تكفير البعض للبعض، أو التبديع، وأوجبت العصبية. ونشأ من ذلك الطعن بالتكفير والتبديع، وهو كثير في الطبقة المتوسطة من المتقدمين. والذي تقرر عندنا: أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية، ولا نكفر أهل القبلة، إلا بإنكار متواتر من الشريعة"[٩٤]. كما أوضح الذهبي أن الزيادة في التعصب تؤدي إلى الفتن، ونفى عمن يشطط في التعصب أن يكون من أهل العلم، بل وصفهم بالفجرة الجهلة. جاء في ترجمته لأبي نعيم المهراني (ت: ٤٣٠هـ): وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجورًا بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل. قال الذهبي: قلت: ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم[٩٥].

---

[٩٢] التمذهب: حقيقته وحكمه، وليد الحمدان، (ص: ٣٢٤).

[٩٣] يُنظر: السير، (٢٢/ ١٧٢).

[٩٤] الموقظة في علم مصطلح الحديث، (ص: ٨٥، ٨٦)

[٩٥] يُنظر: السير، (١٧/ ٤٥٩، ٤٦٠).

ولا يخفى أن البيئة التي يسود فيها التعصب تكون منفرة للعلماء الصادقين، وربما أصابهم الأذى بسبب اختلافهم عن المذهب السائد، وربما تسبب ذلك في طردهم وتشريدهم عن بلدانهم، بينما تساعد البيئة التي يسودها التسامح على الإبداع والإنتاج الفكري والعلمي، وفي هذا ذكر الذهبي في ترجمة إمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ): أنه "كان ينفق من ميراثه ومن معلوم له، إلى أن ظهر التعصب بين الفريقين، واضطربت الأحوال، فاضطر إلى السفر عن نيسابور، فذهب إلى المعسكر، ثم إلى بغداد، وصحب الوزير أبا نصر الكندري مدة يطوف معه، ويلتقي في حضرته بكبار العلماء، ويناظرهم، فتحنك بهم، وتهذب، وشاع ذكره، ثم حج، وجاور أربع سنين يدرس، ويفتي، ويجمع طرق المذهب، إلى أن رجع إلى بلده بعد مضي نوبة التعصب، فدرس بنظامية نيسابور، واستقام الأمر، وبقي على ذلك ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، مسلما له المحراب والمنبر والخطبة والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، كان يقعد بين يديه نحو من ثلاث مائة، وتفقه به أئمة[٩٦].

عن الإمام ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ): قال الذهبي: "قلت: وقد امتحن ابن حزم وشرد عن وطنه، وجرت له أمور، وتعصب عليه المالكية لطول لسانه ووقوعه في الفقهاء الكبار، وجرى بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات يطول شرحها. ونفرت عنه قلوب كثير من الناس لحطه على أئمتهم وتخطئته لهم بأفج عبارة، وأفظ محاورة، وعملوا عليه عند ملوك الأندلس وحذروهم منه ومن غائلته، فأقصته الدولة وشردته عن بلاده، حتى انتهى إلى بادية لبلة، فتوفي بها في شعبان ليومين بقيا منه"[٩٧]. ويصف منهجه في التعامل مع الآخرين قائلًا: "فلم يكُ يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به من عارضه صك الجندل، وينشقه إنشاق الخردل، فتنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منقطع أثره بلده من بادية لبلة، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده، من عامة المقتبسين، منهم من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم، ويفقههم، ويدارسهم"[٩٨].

وربما وصل الأمر إلى القتل والاقتتال بسبب التعصب البغيض، حيث ذكر الذهبي في ترجمة العلامة شيخ الشافعية أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني (ت: ١٥١هـ): قال السلفي:

---

[٩٦] السير، (١٨/ ٤٦٩، ٤٧٠)، ويُنظر: تاريخ الإسلام، (١٠/ ٤٢٤).

[٩٧] تاريخ الإسلام، (١٠/ ٧٨)

[٩٨] تاريخ الإسلام، (١٠/ ٧٩)

بلغنا أنه أملى بآمل، وقتل بعد فراغه من مجلس الإملاء بسبب التعصب في الدين في المحرم. قال: وكان العماد محمد بن أبي سعد صدر الري في عصره يقول: أبو المحاسن القاضي شافعي عصره. قال معمر بن الفاخر: قتل بجامع آمل، يوم جمعة، حادي عشـــر المحرم، قتلته الملاحدة – يعني: الإسماعيلية –"[٩٩]. وذكر الذهبي في أحداث سنة ٤٨٢هـ: "وفيها توفي أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصـــر الحنفي رئيس نيســـابور وقاضـــيها وكبيرها روى عن جده والقاضـــي أبي بكر الحيري وطائفة وكان يقال له شـيخ الإســلام وكان مبالغا في التعصــب في المذهب فأغرى بعضــا ببعض حتى لعنت الخطباء أكثر الطوائف في دولة طغرل بك، فلما مات طغرل بك خمد هذا ولزم بيته مدة ثم ولى القضاء[١٠٠].

وفي ترجمة ابن القشــيري عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن (ت: ٥١٤هـ): وبالغ في التعصــب للأشاعرة، والغض من الحنابلة، فقامت الفتنة على ساق، واشتد الخطب، وشمر لذلك أبو سعد أحمد بن محمد الصــوفي عن ســاق الجد، وبلغ الأمر إلى الســيف[١٠١]. وقال عنه: "ذكره عبد الغافر في (ســياقه)، فقال: هو زين الإســلام أبو نصــر عبد الرحيم، إمام الأئمة، وحبر الأمة، وبحر العلوم، وصــدر القروم، أشــبههم بأبيه خلقا، حتى كأنه شــق منه شــقا، كمل في النظم والنثر، وحاز فيهما قصــب السبق، ثم لزم إمام الحرمين، فأحكم المذهب والأصــول والخلاف، ولازمه يقتدي به، ثم خرج حاجا، ورأى أهل بغداد فضله وكماله، ووجد من القبول ما لم يعهد لأحد، وحضر مجلسه الخواص، وأطبقوا على أنهم ما رأوا مثله في تبحره ...، إلى أن قال: وبلغ الأمر في التعصــب له مبلغًا كاد أن يؤدي إلى الفتنة"[١٠٢].

وفي أحداث ســـنة ٥٦٠هـ قال الذهبي: "وفيها وقعت فتنة عظيمة آلت إلى الحرب بأصـــبهان بين صــدر الدين عبد اللطيف ابن الخجندي وغيره من أصــحاب المذاهب، وســببها التعصــب للمذاهب، فدام القتال بين الفريقين ثمانية أيام، قتل فيها خلق كثير، وأحرق كثير من الدروب والأســـواق، قاله ابن الأثير[١٠٣].

العلاج في التربية على قبول الاختلاف والتسامح والإنصاف وإعذار المخالف

---

[٩٩] السير، (١٩/ ٢٦٢)

[١٠٠] العبر في خبر من غبر، (٣/ ٣٠١)

[١٠١] السير، (١٩/ ٤٢٤)

[١٠٢] السير، (١٩/ ٤٢٦)

[١٠٣] تاريخ الإسلام، (١٢/ ٢٤)

التسامح قيمة أصيلة في الدين الإسلامي، وعرّف التسامح بأنه: احترام الحق في الاختلاف، وأن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه[١٠٤]. وعدّ ابن عاشور السماحة أول أوصاف الشريعة الإسلامية وأكبر مقاصدها، وأرجعها إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط[١٠٥]. وقد قال تعالى في وصف هذه الأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وجاء في تفسير الوسط أنه العدل أي بين طرفي الافراط والتفريط[١٠٦]. ونهت الشريعة عن كل ما يتنافى مع التسامح وفي مقدمتها الغلو والتعصب والتطرف، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [المائدة:٧٧]. وإن كان النهي متعلقا بأهل الكتاب إلا أن المراد منه موعظة هذه الأمة، حتى تتجنب الأسباب التي أوجبت سقوط الأمم السابقة وغضب الله عليها[١٠٧].

وفي محاربة التعصب والتربية على التسامح وقبول رأي المخالف وفكره، يذكر الذهبي ما كان يفعله الإمام علي بن المديني الذي كان يُظهر السنة في الكوفة، ويظهر التشيع في البصرة، وما ذلك إلا تربية للمتعصبين من أهل السنة والشيعة. جاء في ترجمته: عن ابن معين: كان علي بن المديني إذا قدم علينا، أظهر السنة، وإذا ذهب إلى البصرة، أظهر التشيع. قال الذهبي: قلت: كان إظهاره لمناقب الإمام علي بالبصرة، لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على علي[١٠٨].

ويرى الذهبي أنه لا بد لمن يريد أن يصبح جهبذًا في العلم أن يكون بعيدًا عن الهوى والعصبية، ووجّه إليه نصيحة طويلة، مما جاء فيها: "فإن آنست يا هذا من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًا وورعًا وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأى والمذهب فبالله لا تتعب، ...، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"[١٠٩].

ولعل العلاج الأنجع للتعصب يتمثل في القبول بالاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]. كما إن الإقرار بسنة الاختلاف تُكسب أهل العلم قيمة العدل والإنصاف، فيعترف الواحد منهم بفضل الآخر ويشيد به وإن كان مخالفًا له، وفي هذا أورد

---

[١٠٤] يُنظر: تهافت التهافت، ابن رشد، (ص:٣٦٩).

[١٠٥] يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، (٣/ ١٨٨).

[١٠٦] التحرير والتنوير، (٢/ ١٧).

[١٠٧] يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، (٣/ ١٨٨).

[١٠٨] السير، (١١/ ٤٧).

[١٠٩] تذكرة الحفاظ، (١/ ١٠).

الذهبي قول الإمام أحمد بن حنبل: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا[١١٠].

وتوجّه بالوعظ لجميع طلبة العلم والعلماء، حيث دعاهم إلى التثبت والاحتياط، وتجنّب التعصب للمذهب والرأي، والإذعان للحق وإن كان مخالفًا لهما، بقوله: "فيا رجل دع ما يريبك إلى مالا يريبك، واحتط لدينك، ولا يكن همك الحكم بمذهبك، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فإذا عملت بمذهبك في المياه والطهارة والوتر والأضحية، فأنت أنت، وإن كانت همتك في طلب الفقه الجدال والمراء، والانتصار لمذهبك على كل حال وتحصيل المدارس والعلو، فما ذا فقهًا أخرويا، بل ذا فقه الدنيا، فما ظنك تقول غدًا بين يدي الله تعالى: تعلّمت العلم لوجهك وعلمته فيك، فاحذر أن تغلط وتقولها فيقول لك: «كذبت، إنما تعلمت ليقال عالم، وقد قيل، ثم يؤمر بك مسحوبا إلى النار»[١١١]. فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى، فإنك لا دليل لك على ذلك، ولا لمخالفك أيضا، بل الأئمة رضي الله عنهم على خير كثير، ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة، وفي خطئهم أجر على كل مسألة"[١١٢].

التربية على الإنصاف والإعذار

والذهبي كان قدوة في الإنصاف والإعذار، طبّق ذلك عمليًّا في تراجمه، فقد ترجم لآلاف الأعلام، من عهد الصحابة إلى القرن الثامن الهجري، بما فيهم العلماء والخلفاء والأمراء والقضاة وغيرهم، وهم متباينون في التوجه الفقهي والعقدي والفلسفي والعلمي، ومع هذا التباين الكبير إلا أن الذهبي كان يتحرى الإنصاف والعدل في تراجمه، ويتأنى في إصدار الأحكام، وقد أكدّ على هذا المعنى صراحة فقال: "وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع"[١١٣] فلم يكن الذهبي يتحامل على المخالفين، أو يتعصب في الحكم عليهم، وهذا كثير في تراجمه، وليس أكثر دلالة على ذلك من كلامه عن أصحاب البدع، قال: "ثم ما كل أحد فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يُقدح فيه بما يوهن حديثه، ولا من شرط الثقة أن يكون معصومًا من الخطايا والخطأ، ولكن فائدة ذكرنا كثيرًا من

---

[١١٠] السير، (١١/ ٣٧١)

[١١١] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم (١٩٠٥)، (٣/ ١٥١٣).

[١١٢] زغل العلم (ص: ٣٥).

[١١٣] السير، (٨/ ٤٤٨).

الثقات الذين فيهم أدنى بدعة أو لهم أوهام يسيرة في سعة علمهم أن يُعرف أن غيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم أو خالفهم. فزن الأشياء بالعدل والورع"[١١٤].

وإذا وجد إنصافًا من أحدهم امتدحه وأثنى عليه، من ذلك ثناؤه على شريك النخعي (ت: ١٧٨هـ) تفضيله لعثمان رضي الله عنه رغم أن شريك كوفيًا، والمعروف عن أهل الكوفة شيوع التشيع لعلي رضي الله عنه فيهم، جاء في ترجمة الذهبي لشريك: "قال أبو نعيم: سمعت شريكًا يقول: قدم عثمان يوم قدم، وهو أفضل القوم. قلت: ما بعد هذا إنصاف من رجل كوفي"[١١٥].

وقد أفصح الذهبي عن منهجه في إعذار العلماء وإقالة عثراتهم، فقال: "وكل أحد يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله (ﷺ)، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه، ونغطي معارفه، بل نستغفر له، ونعتذر عنه"[١١٦].

المبحث السادس: آفة حسد الأقران وعلاجها

المقصود بالأقران: "المتعاصرون في قرن واحد المتساوون في العلوم"[١١٧]. وحسد الأقران من الآفات المنتشرة في الأوساط العلمية، سواء بين طلبة العلم أم العلماء، ومرجع هذه الآفة إلى أن التشابه والتقارب بين الأقران يُنشئ في كل منهم حب تفوقه على قرينه، وكراهة تفوق قرينه عليه، وهي تختلف عن التنافس المشروع الذي يجعل كلا منهما يغبط صاحبه ويحاول اللحاق به لكن دون أن يكره تفوّق صاحبه. فالتنافس مشروع بين الجميع، ويُعدّ دافعًا لعلو الهمة في التحصيل، وارتقاء الجودة في الأداء، ما لم يُداخله داء الحسد، هذه الآفة التي تقود صاحبها إلى إيذاء أقرانه، أكان ذلك بالقول أم بالفعل، فيقول في أقرانه ما ليس فيهم، ويحط من قدرهم ظنًّا منه أن الحط منهم رفعةً له.

إن التحاسد بين الأقران يؤول إلى الشحناء والبغضاء وحط كل منهم من قدر الآخر، ولم يسلم من ذلك أئمة وأعلام أفاضل، وقد أورد الذهبي نماذج لوقوع بعض أهل العلم في هذه الآفة مبيّنًا أنه ينبغي ألا يؤخذ بكلام الأقران، بل يُطوى ولا يُروى، ومن ذلك: "ذُكر يحيى بن أبي كثير (ت: ١٢٩هـ) عند قتادة (ت: ١١٨هـ)، فقال: متى كان العلم في السماكين؟! فذكر قتادة عند يحيى، فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة. قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر،

---

[١١٤] ميزان الاعتدال، (٣/ ١٤١).

[١١٥] السير، (٨/ ٢٠٢).

[١١٦] السير، (١٨/ ١٥٧).

[١١٧] توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، (٢/ ٢٧٩).

تأمله المحدث، فإن وجد له متابعا، وإلا أعرض عنه"[١١٨]. ومن ذلك: عن مغيرة ت:(١٣٣هـ): ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق (ت: ١٢٨هـ)، والأعمش (ت: ١٤٧هـ)، قال الذهبي معلقًا: قلت: لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض، وحديث أبي إسحاق محتج به في دواوين الإسلام. قال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين: (ت: ٢٣٣هـ)، أبو إسحاق ثقة.[١١٩].

وجاء في ترجمته لرجاء بن حيوة (ت: ١١٢هـ): قال مكحول: ما زلت مضطلعًا على من ناوأني حتى عاونهم علي رجاء بن حيوة، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم. وعلّق الذهبي بقوله: قلت: كان ما بينهما فاسدًا، وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض، ومكحول ورجاء إمامان، فلا يلتفت إلى قول أحد منهما في الآخر[١٢٠].

ومن صور الشحناء والحسد بين الأقران من أهل العلم ما ذكره الذهبي من أن أبي الزناد (ت: ١٣١هـ) كان سبب جلد ربيعة الرأي (ت: ١٣٦هـ)، ثم علق بقوله: قلت: تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا[١٢١].

وقد يكون ذلك متعلقٌ بمسألةٍ فقهية لا يستدعي الخلاف فيها الإساءة لأحد العلماء والأئمة في اختياره فيها بما لا يليق في حق أهل العلم والفضل، من ذلك ما أورده الذهبي من الشواهد على حسد الأقران رغم فضيلتهم[١٢٢].

ويعزز الذهبي موقفه من آفة حسد الأقران وخطورتها على العلم وأهله والموقف الصحيح منها، بقوله: "قلت: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يطوى، ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة، وقتالهم رضي الله عنهم وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين، والكتب، والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع، وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه، لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة، وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف، العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله –تعالى–"[١٢٣].

---

[١١٨] السير، (٥/ ٢٧٥، ٢٧٦)

[١١٩] يُنظر: السير، (٥/ ٣٩٩)

[١٢٠] السير، (٤/ ٥٥٨).

[١٢١] يُنظر: السير، (٥/ ٤٤٨)

[١٢٢] يُنظر: السير، (٧/ ٤٠، ٤١)

[١٢٣] السير، (١٠/ ٩٢)

ويستثني الذهبي من كلام الأقران ما وُجد له متابعًا، أو اتفق أئمة عصر عليه، قال: كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر، تأمله المحدث، فإن وجد له متابعًا، وإلا أعرض عنه[١٢٤]. وقال: وبكل حال: كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل، وطيه أولى من بثه، إلا أن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمد قولهم[١٢٥]. وإنما يؤخذ بكلام الأقران لأنه لا يُعرف عدالة الرجل ولا جرحه إلا منهم، لذا فالذي يُعرض عنه هو وقوع بعضهم في بعض بدافع الحسد والتنافس، وهو ما أشار إليه الصنعاني بقوله: "فالأولى إناطة ذلك بمن يعلم أن بينهما منافسة وتحاسدًا، فيكون ذلك سببا لعدم قبول بعضهم في بعض، لا لكونه من الأقران فإنه لا يعرف عدالته ولا جرحه إلا من أقرانه"[١٢٦].

العلاج في إثبات الفضائل والمناقب لأهلها والاعتراف بتفاوت القدرات/ الإنصاف والإعذار

وهذا ما نوّه إليه الذهبي نظريًّا وذكر الكثير من الأمثلة عليه، كما طبّقه عمليًّا في تراجمه لأقرانه المعاصرين له، ومن الأمثلة التي ذكرها لتوقير العلماء لأقرانهم وإثبات فضائلهم ومناقبهم: "عن ثابت البناني (ت: ١٢٧هـ): أن الصحابي أبا برزة (ت: ٦٤هـ) كان يلبس الصوف، فقيل له: إن أخاك عائذ بن عمرو يلبس الخز. قال: ويحك! ومن مثل عائذ؟! فانصرف الرجل، فأخبر عائذا، فقال: ومن مثل أبي برزة؟! قلت: هكذا كان العلماء يوقرون أقرانهم"[١٢٧]. وذكر قول هشام بن يوسف (ت: ١٩٧هـ): كان عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ) أعلمنا، وأحفظنا. وعلّق الذهبي بقوله: قلت: هكذا كان النظراء يعترفون لأقرانهم بالحفظ[١٢٨].

وذكر قول يونس الصدفي (ت: ٢٦٤هـ): ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة[١٢٩]. ثم علّق قائلًا: قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون[١٣٠].

---

[١٢٤] المرجع نفسه، (٥/ ٢٧٥، ٢٧٦).

[١٢٥] المرجع نفسه، (١١/ ٤٣٢).

[١٢٦] توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ابن الأمير الصنعاني، (٢/ ٢٧٩).

[١٢٧] السير، (٣/ ٤٢).

[١٢٨] يُنظر: المرجع السابق، (٩/ ٥٦٦).

[١٢٩] المرجع نفسه، (١٠/ ١٦).

[١٣٠] المرجع نفسه، (١٠/ ١٦).

وفي الإعذار؛ عندما ذكر ما كان يراه الإمام أحمد من عدم الكتابة عن أحد ممن امتحن في فتنة خلق القرآن فأجاب بمن فيهم الحافظ ابن معين، ردّ الذهبي بقوله: "قلت: هذا أمر ضـــيق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صـريح الكفر عملا بالآية – وهذا هو الحق. "ثم إنه بيّن عذر ابن معين فقال: "وكان يحيى من أئمة الســـنة، فخاف من ســـطوة الدولة، وأجاب تقية"[١٣١]. وجاء في ترجمته لمحمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ): "عن ابن أبي فديك، قال: رأيت محمد بن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب. قلت: هذا يشنع به على ابن إسحاق، ولا ريب أنه حمل ألوانا عن الذمة مترخصا بقوله (ﷺ): «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»"[١٣٢].

وأما عمليًّا فقد ترجم الذهبي لعدد كبير من أقرانه، وأثبت لهم ما هم أهله من الفضـائل والمناقب، ولم يغمطهم حقهم أو ينتقص من قدرهم، ومنهم: أبو الحجـاج المزي (ت: ٧٤٢)، قـال في ترجمتـه: "العلامة الحافظ البارع أســتاذ الجماعة جمال الدين أبو الحجاج محدث الإســلام الكلبي القضــاعي المزي الدمشـقي الشـافعي، ...، ونشـأ بالمزة وقرأ القرآن وتفقه قليلا، ثم طلب هذا الشـأن سـنة خمس وسـبعين وسـت مائة وهلم جرا إلى اليوم، فما ونى وما فتر ولا لها ولا قصـر، وعني بهذا الشـأن أتم عناية، وقرأ العربية، وأكثر من اللغة والتصريف وصنف وأفاد، ...، وكتب الكثير، ورواه مع السمت الحسن والاقتصاد والتواضع والحلم وعدم الشر والله يصلحه وإياي"[١٣٣].

وفي ترجمته لابن تيمية قال الذهبي: "الإمام العلامة الحافظ الحجة فريد العصـــر بحر العلوم تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي، ...، ونسخ وقرأ وانتقى، وبرع في علوم الآثار والسنن ودرس وأفتى وفسر وصنف التصانيف البديعة، وانفرد بمسائل فنيل من عرضه لأجلها، وهو بشر له ذنوب وخطأ، ومع هذا فوالله ما قابلت عيني مثله، ولا رأى هو مثل نفســـه، وكان إماما متبحرا في علوم الديانة صـحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم، كثير المحاسن، موصوفا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عن الشـــهوات؛ المأكل، والملبس، والجماع، لا لذة له في غير نشـــر العلم وتدوينه والعمل بمقتضـــاه"[١٣٤]. كما ترجم له في معجم الشـيوخ، ومما قال فيه: "فريد العصـر علما ومعرفة وذكاء

---

[١٣١] السير، (١١/ ٨٧).

[١٣٢] السـير، (٧/ ٥٣). والحديث رواه البخاري في صـحيحه، برقم (٣٢٧٤)، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[١٣٣] معجم الشيوخ الكبير، (٢/ ٣٨٩).

[١٣٤] المعجم المختص بالمحدثين، (ص: ٢٥).

وحفظا وكرما وزهدا وفرط شجاعة وكثرة تآليف والله يصلحه ويسدده، فلسنا بحمد الله ممن نغلو فيه ولا نجفو عنه، ما رئي كاملا مثل أئمة التابعين وتابعيهم، فما رأيته إلا ببطن كتاب"[١٣٥].

وقد أنصف الذهبي الكثير من أهل العلم مع اختلافهم مع بعضهم، حيث قال في ترجمة ابن الحريري الدمشقي الحنفي قاضي القضاة علامة المذهب ذو العلم والعمل بينما مدح أبا العز مفضل الشافعي فقال كان عالما صالحا رصينا متحريًا صاحب سنة ومعرفة[١٣٦]. وقال في قاضي الحنفية شمس الدين الأذرعي لم يخلف بعده مثله، وقال في ترجمة عماد الدين الجابري شيخ الحنفية نُعمان الزمان[١٣٧].

الخاتمة

أولًا- النتائج

١. آفات طلب العلم حاضرةً بقوةٍ في كتابات الإمام الذهبي، وكان غالبًا ما يربط بين الآفات والعلم سلبًا وإيجابًا؛ وهذا يرجع لاهتمامه الواسع برصد آداب طلب العلم وآفاته في جل مناقشاته للمسائل العلمية وحديثه عن العلم وأهله.

٢. لم يقتصر الإمام الذهبي في منهجه على تناول آفات طلب العلم ونقدها وبيان خطرها على النفس والعلم؛ بل كان أيضًا يُرفقها بطرق علاجها والخلاص منها، وتقديم النماذج الإيجابية فيها من خلال تراجمه لسلف الأمة وأعلامها الكبار.

٣. قد لا يسلم طلب العلم من آفة سوء القصد طلب العلم بنيةٍ فاسدةٍ وحب الشهرة والظهور وطلب الدنيا والتباهي بالعلم، والأصل أن يقود العلم صاحبه إلى الإخلاص وتصحيح القصد، فالإخلاص هو علاج آفات النفس.

٤. ما يأتي نتيجة اتباع الهوى في طلب العلم لا يكون علمًا صحيحًا، لأنه يقوم على الظن والخيال والانسياق وراء الرغبات، ويُنتج دعاوى عقدية وفكرية وسلوكية فاسدة تتقاطع مع جلال العلم.

٥. وفق الإمام الذهبي فإن للبيئة تأثيرها الواسع على معرفة الحق ووضوحه، وعلى قوة اتباعه، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بما نشأ عليه، وبما هو سائد في بيئته من المعتقدات، فيتبعها ظنًا منه أنها الحق، بينما النشوء في بيئة تتمتع بالإنصاف ووضوح طريق الحق والبراءة من الغلو، تُثمر اتباعًا للحق وصدعًا به.

---

[١٣٥] معجم الشيوخ الكبير، (١/ ٥٦).

[١٣٦] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٣/ ٣٤٨).

[١٣٧] ينظر: السير، (١٣١/١).

٦. التقليد وفق الإمام الذهبي لا يكون إلا من قاصـــر في العلم أو من متعصـــب، بينما من لاح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها، بل يعمل بما ثبت لديه برهانه.

٧. آفة الجدل والمراء قاصـــمةً لطلب العلم وماحقةً لبركته، إذ الغالب على من انتهج ســـبيل الجدل والمراء الانتصار للنفس والرأي والمذهب لا للحق والصواب وإن ظهرا بيقين.

٨. حسـد الإقران يُفقِدُ أصـحابه قيمة العدل والإنصـاف حيث ينال بعضـهم من بعض كما وقع من كثيرين، لا سيما أن كلام أحد الأقران في الآخر دافعه الهوى والعصـبية والمنافسـة، فلا يُلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى.

ثانيًا- التوصيات

١. توصـي الباحثة الباحثين والمهتمين؛ بتتبع كل آفات طلب العلم التي وقف عليها أعلام هذه الأمة الكبار تشخيصًا ومعالجةً لها.

٢. توصـي الباحثة المؤسسـات التعليمية؛ بتضـمين مثل هذه الآفات في المقررات الدراسية الجامعية التي تُعنى بالقيم والأخلاق.

٣. توصـــي الباحثة أهل العلم الكبار؛ بالتحذير من آفات طلب العلم التي تظهر من خلال ظهور بعض أهل العلم وطلابه والدعاة في وسائل الإعلام ومواقع التواصل.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد الأندلسي، تهافت التهافت، المكتبة العصرية، لبنان، ٢٠٢١م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤م.

ابن عاشـور، مقاصـد الشـريعة الإسـلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشـؤون الإسـلامية، قطر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، رتبه وضـبطه: محمد عبد السـلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ســـنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ط١، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، مفردات غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية_ دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به: محمد زهير، دار طوق النجاة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

البستي، محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠ هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

الجبرين، عبد الرحمن بن عبد الله، التمذهب دراسة تأصيلية واقعية، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، العدد ٨٦، ٢٠٠٩.

الحمدان، وليد بن عبد الرحمن بن عبد الله، التمذهب: حقيقته وحكمه، مجلة القلم، اليمن، السنة التاسعة، العدد ٣٢، ٢٠٢٢م.

الدار قطني، علي بن عمر بن النعمان البغدادي، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الذهبي، التمسك بالسنن والتحذير من البدع، تحقيق: محمد باكريم محمد باعبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة ٢٧، العددان ١٠٣، ١٠٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.

الذهبي، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت.

الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الذهبي، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: غنيم عباس غنيم_ مجدي السيد أمين، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

الذهبي، زغل العلم والطلب، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الذهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٢، ١٤١٢هـ.

الذهبي، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الشحود، علي بن نايف، الخلاصة في آفات اللسان، دار المعمور، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

الشوكاني، محمد بن علي، أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، مكتبة اللغة العربية- بغداد، ط٣، ١٩٧٤م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

مصطفى، أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- القاهرة، دار صادر.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Ibn Rushd, Abū al-Walīd Muḥammad ibn Aḥmad al-Andalusī, Tahāfut al-tahāfut, al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, Lubnān, 2021m.

Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Ṭ1, 1984m.

Ibn ʻĀshūr, Maqāṣid al-sharīʻah al-Islāmīyah, taḥqīq: Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shuʼūn al-Islāmīyah, Qaṭar, 1425h / 2004m.

Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb, I‘lām al-muwaqqi‘īn ‘an Rabb al-‘ālamīn, rattabahu wa-ḍabaṭahu: Muḥammad ‘Abd al-Salām Ibrāhīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1411h-1991m.

Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb, I‘lām al-muwaqqi‘īn ‘an Rabb al-‘ālamīn, rattabahu wa-ḍabaṭahu: Muḥammad ‘Abd al-Salām Ibrāhīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1411h-1991m.

Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd al-Qazwīnī, Sunan Ibn Mājah, taḥqīq: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, Fayṣal ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī, Ṭ1, D. t.

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ‘Alī, Lisān al-‘Arab, Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ3, 1414h.

al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, Tahdhīb al-lughah, taḥqīq: Muḥammad ‘Awaḍ Mur‘ib, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 2001M.

al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad ibn al-Mufaḍḍal al-ma‘rūf bālrāghb, mufradāt Gharīb al-Qur’ān, taḥqīq: Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah _ Dimashq wa-Bayrūt, Ṭ1,

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl al-Bukhārī, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, i‘taná bi-hi: Muḥammad Zuhayr, Dār Ṭawq al-najāh, al-Qāhirah, Ṭ1, 1422h.

al-Bustī, Muḥammad ibn Ḥibbān al-Tamīmī, Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān, Mu’assasat al-Risālah, ṭ2, 1420 H.

al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ‘Īsá ibn sawrh, Sunan al-Tirmidhī, taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākir, wa-ākharūn, Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī, Miṣr, ṭ2, 1395h-1975m.

al-Jibrīn, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Abd Allāh, al-Tamadhhub dirāsah ta’ṣīlīyah wāqi‘īyah, Majallat al-Buḥūth al-Islāmīyah, al-Ri’āsah al-‘Āmmah lil-Buḥūth al-‘Ilmīyah wa-al-ṭIftā’,al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, al-‘adad 86, 2009.

al-Ḥamdān, Walīd ibn ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Abd Allāh, al-Tamadhhub: ḥaqīqatuhu wa-ḥukmuh, Majallat al-Qalam, al-Yaman, al-Sunnah al-tāsi‘ah, al-‘adad 32, 2022m.

al-Dār qṭny, ‘Alī ibn ‘Umar ibn al-Nu‘mān al-Baghdādī, al-‘ilal al-wāridah fī al-aḥādīth al-Nabawīyah, taḥqīq: Maḥfūẓ al-Raḥmān al-Salafī, Dār Ṭaybah, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1405h / 1985m.

al-Dhahabī, al-tamassuk bālsnn wa-al-Taḥdhīr min al-bida‘, taḥqīq: Muḥammad bākrym Muḥammad bā‘bd Allāh, Majallat al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, al-Sunnah 27, al-‘adadān 103, 104, 1417h / 1997m.

al-Dhahabī, al-‘ibar fī khabar min ‘abra, taḥqīq: D. Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, Maṭba‘at Ḥukūmat al-Kuwayt, 1984m.

al-Dhahabī, al-kabā’ir, Dār al-nadwah al-Jadīdah, Bayrūt.

al-Dhahabī, Tārīkh al-Islām, taḥqīq: al-Duktūr Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Ṭ1, 2003m.

al-Dhahabī, Tadhkirat al-ḥuffāẓ, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1419h / 1998M.

al-Dhahabī, Tadhhīb Tahdhīb al-kamāl fī Asmā’ al-rijāl, taḥqīq: Ghunaym ‘Abbās Ghunaym _ Majdī al-Sayyid Amīn, al-Fārūq al-ḥadīthah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Ṭ1, 1425h, 2004m.

al-Dhahabī, Zaghal al-‘Ilm wa-al-ṭalab, taḥqīq: Muḥammad ibn Nāṣir al-‘Ajamī, Maktabat al-Ṣaḥwah al-Islāmīyah.

al-Dhahabī, Siyar A‘lām al-nubalā’, taḥqīq: majmū‘ah min al-muḥaqqiqīn bi-ishrāf al-Shaykh Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ, Mu’assasat al-Risālah, ṭ3, 1405h / 1985m.

al-Dhahabī, al-Mūqiẓah fī ‘ilm muṣṭalaḥ al-ḥadīth, Maktabat al-Maṭbū‘āt al-Islāmīyah bi-Ḥalab, ṭ2, 1412h.

al-Dhahabī, Mu‘jam al-shuyūkh al-kabīr, taḥqīq: D. Muḥammad al-Ḥabīb al-Hīlah, Maktabat al-Ṣiddīq, al-Ṭā’if, Ṭ1, 1408h / 1988m.

al-Dhahabī, mīzān al-i‘tidāl fī Naqd al-rijāl, taḥqīq: ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, Dār al-Ma‘rifah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Bayrūt _ Lubnān, Ṭ1, 1382h / 1963M.

al-Subkī, Tāj al-Dīn ‘Abd al-Wahhāb ibn Taqī al-Dīn, Ṭabaqāt al-Shāfi‘īyah al-Kubrá, taḥqīq: D. Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, Wad. ‘Abd al-Fattāḥ Muḥammad al-Ḥulw, Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, ṭ2, 1413h.

al-Shāṭibī, al-Muwāfaqāt, taḥqīq: Abū ‘Ubaydah Mashhūr ibn Ḥasan, Dār Ibn ‘Affān, Ṭ1, 1417h / 1997m.

Alshḥwd, ‘Alī ibn Nāyif, al-Khulāṣah fī Afāt al-lisān, Dār al-Ma‘mūr, Ṭ1, 1432h-2011M.

al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī ibn Muḥammad, adab al-ṭalab wa-muntahá al-adab, taḥqīq: ‘Abd Allāh Yaḥyá al-Sarīḥī, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, Ṭ1, 1419H-1998M.

al-Shaybānī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal, Musnad al-Imām Aḥmad, taḥqīq : Shu‘ayb al-Arna’ūṭ wa-ākharūn, ishrāf: D ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Mu’assasat al-Risālah, Ṭ1, 1421h-2001M.

al-Ṣan‘ānī, Muḥammad ibn Ismā‘īl al-Amīr, Tawḍīḥ al-afkār li-ma‘ānī Tanqīḥ al-anẓār, t: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, al-Maktabah al-Salafīyah, al-Madīnah al-Munawwarah.

al-Ṭāhir, ‘Alī Jawād, Manhaj al-Baḥth al-Adabī, Maktabat al-lughah al‘rbyt-Baghdād, ṭ3, 1974m.

al-‘Asqalānī, Aḥmad ibn ‘Alī ibn Ḥajar, Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Dār al-Ma‘rifah, Bayrūt, 1379h.

al-Fārābī, Abū Naṣr Ismāʻīl ibn Ḥammād al-Jawharī, al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-ʻArabīyah, taḥqīq: Aḥmad ʻAbd al-Ghafūr ʻAṭṭār, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, Ṭ 4, 1407h-1987m.
al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr al-Anṣārī, al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq: Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah – al-Qāhirah, ṭ2, 1384h-1964m.
al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1399h, 1979m.
Muṣṭafá, Anīs wa-ākharūn, al-Muʻjam al-Wasīṭ, Majmaʻ allghh alʻrbyt-al-Qāhirah, Dār Ṣādir.
al-Nīsābūrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥasan al-Qushayrī, Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī – Bayrūt.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٣)، ع (٤)، ص ص: ٣٧٢ – ٤١٠، (٢٠٢٥م)
DOI: 10.64064/1658-4295.1049

The approach of Imam Al-dhahabi (may Allah have mercy on him) in dealing with the most prominent pests of knowledge seeking and its treatments

Khawla bint Muhammad Al-uqla

Associate Professor, Department of Da`wah and Islamic Culture, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al Qura University, Makkah KSA

Tm366@hotmail.com

Abstract

This research aims to explore the methodology of Imam Al-Dhahabi, may Allah have mercy on him, in addressing the prominent afflictions of seeking knowledge and their remedies. It identifies six significant afflictions that some seekers of knowledge face, which are: insincere intentions, following desires, turning away from the truth, blind imitation, fanaticism, and envy among peers. The researcher employed an analytical inductive method and a critical approach, leading to several findings, notably that the afflictions of seeking knowledge were strongly present in Al-Dhahabi's writings. He often linked these afflictions to knowledge, both negatively and positively. This can be attributed to his extensive focus on observing the etiquette of seeking knowledge and its afflictions in most of his discussions on scholarly issues and his reflections on knowledge and its scholars. Al-Dhahabi's methodology did not only address and critique the afflictions of seeking knowledge and their dangers to the self and knowledge; he also provided remedies for them and presented positive examples through his biographical sketches of the early generations of the ummah and its great figures. The researcher recommends that scholars, interested individuals, and graduate students track and document all the afflictions of seeking knowledge identified by the esteemed scholars of this nation, along with their diagnoses, criticisms, and remedies.

Keywords: methodology, afflictions, knowledge, learning, seeking knowledge, remedies.